دراسات فى الفن

الفن فى حياتنا الاجتماعية

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

شاءت وزارة الشئون الاجتماعية أن تتعرض للفن فأنشأت فى نفسها إدارة للدعاية خصتها بأمور ستة : الأول نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، والثانى الإشراف على برامج الإذاعة وترقيتها، والثالث تدعيم المسرح القومى والعمل على جعله وسيلة فعالة لتثقيف الشعب وإصلاحه ، والرابع مراقبة الروايات والأفلام السينمائية والأغانى الشعبية ، والخامس الإشراف على تنظيم المهرجانات والأعياد القومية والموالد بما يحقق استفادة الجماهير منها من الوجهتين الاجتماعية والاقتصادية ، والسادس تنفيذ القوانين واللوائح الخاصة بمحال دور التسلية . . . وهذه الأمور الستة شديدة الصلة بالفن ، وهذا ما يدعونى إلى إنعام النظر فيها محاولاً أن أجد الطريق العملى إلى تحقيقها

والمسألة فيما يخيل إلى دائرة ... ذلك أننا نعرف أن الفن هو ثمرة الحياة الاجتماعية ، فكما تكون الأمة يكون فنها ، وأمتنا كما هو ملحوظ فى حاجة إلى إصلاح اجتماعى ، فإذا حاولنا أن نصلحها بفنها لم نفعل شيئاً ، لأن فنها منها وما هو منها لا يمكن أن يصلحها . إنما هناك رجال سبقوا عصرهم وهؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يؤثروا فى مواطنيهم لو أن فرصة العمل أتيحت لهم ، وفرصة العمل لا تتاح لهؤلاء عادة فى سهولة لأن مواطنيهم متأخرون عنهم فهم لا يتذوقونهم كما يتذوقون غيرهم من الفنانين والمفكرين الغارقين فى هذا العصر الضال ، فأول ما يجب علينا إذن هو البحث عن هؤلاء الرجال ، وإلقاء مقاليد الإصلاح بين أيديهم ...

ونحن إذا استرجعنا هذه الأهداف الستة التى تريد وزارة الشئون الاجتماعية أن تصل إليها وفكرنا فيمن يصلح لقيادة الشعب لها ... رأينا الهدف الأول هو نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، ولعل هذا يتم بإنشاء مجلس أعلى للشئون الاجتماعية يضم كل من عرفت مصر أنهم يهتمون بشئونها الاجتماعية اهتماماً حقيقياً لا اهتماماً زائفاً ، ويكون على رأس هؤلاء جميعاً صاحب السعادة عبد العزيز فهمى باشا ... فهو الزعيم المصرى الذى آمن بحق الوطن حينما لم يكن يؤمن به إلا نفر قليل جداً من أبناء الوطن ، وهو الذى سبق كل الزعماء فى تقدير القسط الصالح من سيادة الشعب وقتما كان كل الزعماء يريدون للشعب سلطة فضفاضة وهو لم يزل طفلاً ناشئاً ... وهو الرجل الذى لو أراد أن يعيش متنقلاً بين الكونتنتال ومينا هاوس وسان استفانو لفعل، ولكنه على الرغم من جهل الجماهير لفضله يفضل دائماً أن يقترب من الجماهير ، ويختار جمهوره الأقرب إليه فهو يلزم « كفر المصيلحة » قريته التى نبت فيها والتى وهبها كل الفراغ من وقته ، والتى ظل فيها يكافح الجهل حتى محا منها الأمية محواً ، ويكافح الفقر حتى لم يعد من أبنائها متعطل ولا متسكع ، ويكافح المرض حتى أصبح أكثر أهلها من هواة الألعاب الرياضية وهم يقيمون فيها المسابقات ... هذا الرجل وغيره من رؤوس الريف العاملين المجربين هم الذين يعرفون ما هى السبيل إلى نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، وليشترك معه الكتاب والمفكرون والمجاهدون الذين لهم ماض بين الفقر والجهل والمرض . . . أولئك الذين خالطوا الناس وعرفوا أوجاعهم ، والذين أهينوا وعذبوا وسجنوا وجاعوا وتألموا ... أبناء الشعب ، ونبت الطين المصرى ... من يهمهم إصلاح الحياة فى مصر لتصلح حياتهم هم أنفسهم ، ولترتاح ضمائرهم ... أما الإذاعة فتنقسم إلى قسمين : أولهما قسم الأغانى والموسيقى ، وثانيهما قسم الأحاديث والمحاضرات والتمثيل . وقسم

الأغانى والموسيقى لا يمكن أن يرقى إلا إذا أشرف عليه رجل موسيقى ، وهو اليوم ملقى بين يدى مصطفى بك رضا الموظف بوزارة الأوقاف ، وهو رجل من أبناء الذوات تعلم العزف على القانون كما يتعلم أبناء الذوات وبنات الذوات العزف على البيانو، فهو عندهم وعندهن زينة وأبهة ... هذا الرجل يجب أن يبعد عن محطة الإذاعة وعن المعهد الملكى للموسيقى العربية ليحل محله واحد ممن كافحوا الحياة فى سبيل الفن، وممن بذلوا للفن حياتهم ؛ وأنا، ومن يعرفون لا يشكون فى أن مثل زكريا أحمد هو أول هؤلاء فقد كان مقرئاً للقرآن كما كان من منشدى القصائد ومرتلى مولد النبى ، ثم إنه من ملحنى التخت له أدوار وطقاطيق وموشحات لا يحصى عددها وهو بعد ذلك من ملحنى المسرح والسينما أيضاً ... وليس فى مصر من جمع هذه المميزات على نجاح مشهود وتفوق ظاهر غير زكريا، فكيف يبعد رجل كهذا عن الإشراف على ترقية الأغانى والموسيقى فى مصر ؟

ويجىء بعد ذلك قسم الأحاديث والخطابة والروايات ، ولا بد أن يكون المشرف على هذا القسم ممن سبق لهم أن تحدثوا إلى الشعب وأن عرفوا ما هى الأحاديث التى تؤثر فيه وتخلبه ، وكيف يمكن أن يقاد وكيف يمكن أن يُهدى

أما تدعيم المسرح فلا يمكن أن يكون إلا بتحريره ، وتحريره لا يمكن أن يكون إلا بتشجيعه ، وتشجيعه لا يمكن أن يكون إلا بالمال يوزع على الفرق الأهلية ، فيكون للريحانى نصيب ، ويكون ليوسف وهبي نصيب ، ولفاطمة رشدى نصيب ... وقد تستجد فرق أخرى تنافس هذه ، ولا ريب أن الروح ستدب من جديد إلى المسرح المصرى الذى قتل حين أظله « الميرى » بظله . . . إن الفرقة القومية تشبه جريدة الوقائع الرسمية والمجمع الملكى للغة العربية... فكم من الناس يكترثون لهذه الجريدة وهذا المجمع؟ وما مدى تأثير كل منهما فى الحياة المصرية؟ وبم يشعر الناس لو أنهما ألغيا ؟ هل يحس أحد بأن الحياة المصرية قد نقصت شيئاً؟

وأما مراقبة الأفلام والروايات السينمائية فلا بد لها من خطة خاصة أيضاً ... لا بد أن يعهد بالإشراف عليها إلى هيئة لا إلى فرد فهى تؤثر فى الجمهور من عدة نواح مختلفة ، وهى شديدة الخطر على النشء ، فإذا لم تكن خاضعة لرقابة صالحة يقوم بها نفر ممن يغارون على وطنهم وأهلهم فإنها من غير شك ستجرف مصر إلى هاوية ليس لنا قبل بالتردى فيها ... هذا إلى ما يكون فى روايات السينما أحياناً من مظاهر التعصب الغربى ضد الشرق عامة ، وضد العرب خاصة ... والروايات التى تنحو هذا النحو يقبلها الغرب لأنها ترضى كبرياءه ولأنها تنم عن ألوان من الكفاح اصطنعها الغرب ضد الشرق وانتصر فيها ... ولكن هذه الروايات نفسها لا يصح أن تعرض فى بلد شرقى لأن عرضها فيه إهانة له ولأنها تربى الصغار على كراهية الشرق وعبادة الغرب بينما هم شرقيون

لا بد لنا من عالم نفساني اجتماعى يشاهد هذه الأفلام قبل عرضها ليحكم عليها وليقرر أنها تقربنا من المثل العليا التى نحب أن نحققها فيبيح عرضها أو أنها تحيد بنا إلى مثل سفلى لا يصح أن نتدلى إليها فيمنع عرضها ، ولا بد إلى جانب هذا من رجل غيور على التقاليد والنظم الشرقية غيرة صحيحة ، ولا بد إلى جانب هذا وذاك من مرب يعرف مدى ما تؤثر هذه الروايات فى نفوس الصغار ، وفى صغار النفوس

وتجىء أخيراً المهرجانات والأعياد والموالد ، وهذه هى معضلة المعضلات . . . فكم من أمة حكمت مصر ، وكم من حضارة ألمت بها ، وكم من دين غزاها ، وكم أريد بها أن تكون على هوى من أراد فلم تكن إلا ما أرادت بها طبيعتها فنفضت عن نفسها كل ما حاول الجبابرة أن يصبغوها به من ألوان الحياة ، ولم تستبق من هذه الأصباغ إلا صبغتين اثنتين هما صبغة الفراعنة وصبغة الفاطميين . أما الفراعنة فلا يزال فى مصر من مخلفاتهم هذه الآثار القائمة من الصخر والحجر ، وهذه اللغة التى يتكلم بها بعض أهل النوبة، وهذا التقويم الذى يؤقت به المصريون الزراعة، وهذه العواطف التى لا تزال تختلج فى نفوس المصريين اليوم بالمنطق نفسه الذى كانت تختلج به فى نفوس المصريين من أقدم العصور والتى نحب بها ما كان يحبه أجدادنا ونكره بها ما كانوا يكرهون ، فنحن لا نزال نحب النيل ونحتفل بفيضانه كما كانوا يفعلون ، ونحن لا نزال نحب الجاموس الذى يساعدنا فى فلاحة الأرض كما عبدوا العجل أبيس ، ونحن لا نزال نكره الهجرة من بلادنا مهما قست علينا الحياة فيها كما كانوا يكرهون هم الهجرة من بلادهم مع أننا اليوم مسلمون ، ومع أن الإسلام يمقت الذين يتشبثون بأرض يستضعفون فيها . وفينا كذلك من تفكيرهم

هذه القدرة العجيبة على الاستعاضة بالخيال عن الحقيقة والأمر الواقع ، ولعلنا الشعب الوحيد الذى يرضى اليوم أن تلاقيه ولا تغديه ، كما أن فينا من أخلاقهم « فرعنة » تجرى فى عروقنا مع الدم ، فالواحد منا إما فرعون يتفرعن على من هو دونه ، وإما عبد لكل فرعون ممن هم فوقه رؤساء وحكاماً .

وأما الفاطميون فلا تزال مصر تحتفظ بكل ما أقاموه فيها من دعائم حكمهم، فهذه الأضرحة التى تملأ القاهرة وغيرها من مدن مصر وقراها ، وهذه الموالد التى لا يزال المصريون يجرون وراءها من القاهرة إلى دسوق إلى طنطا إلى دمنهور ، وهذه الخرافات العجيبة المتأصلة فى أذهان الناس والتى تخالط عقائدهم من دينية ودنيوية والتى يستقونها من القصص الفاطمي المتفشى بينهم ، ومن الكتب المدسوسة عليهم باسم الإسلام والإسلام منها برىء . وهذا التشاغل عن الحياة ، وهذه القناعة بخيرات الأرض إذا جادت الأرض بالخيرات . . . هـذا وذاك باقيان فى الحياة المصرية إلى اليوم من أثر الفراعنة ومن أثر الفاطميين ، حتى الدين تأثر بالفراعنة والفاطميين ، فالإسلام الذى فى نفوس العامة من المصريين إسلام فاطمى ، والمسيحية التى فى نفوس العامة منهم مسيحية فرعونية .. فالمسلمون من المصريين يفكرون فى أهل البيت أكثر مما يفكرون فى الله، ويستنجدون بالحسين والسيدة زينب أكثر مما يستنجدون بالله الواحد الأحد خالق الحسين والسيدة زينب وجدها عليه الصلاة والسلام ، وهم يقرؤون قصص السيد البدوى ومناقبه وأحاديث أكلاته ومواقعه أكثر مما يقرؤون القرآن وتاريخ النبي. والمسيحيون المصريون فرعنوا مسيحيتهم هم أيضاً؛ فهم يسمون أنفسهم بأسماء فرعونية مع أن الفرعونية وثنية فى رأى المسيحية ، ثم إنهم لا يزالون يتفننون فى الحزن على موتاهم تفنناً عجيباً لم يكن يحسنه فى الشعوب الغابرة أحد إلا قدماء المصريين ، ويحسنونه هم اليوم ، مع أن المسيحية إعلان مطلق بإرادة الله ورضا مطلق بمشيئته ... فلماذا انطبعت الحياة المصرية بهذين الطابعين وحدهما ... ؟ ولماذا استطاع هذان الطابعان أن يغالبا الزمن فى مصر وأن يبقيا فيها على مر العصور دون غيرهما مما كان يصح أن يؤثر فى الحياة المصرية وأن يطبعها بطابعه . لا بد أن فى الأمر سراً . والسر هو أن الفراعنة والفاطميين أنشأوا دولتيهم على أساس من الدعاية والفن ، وقد راعوا فى فنونهم أن توافق الروح المصرية ، وقد عرفوا أن مصر أرض زراعية ، وأن هذه الأرض الزراعية تستذل أهلها بخيراتها ، وأنه إذا توفر الخير لأهلها طابت لهم الحياة فيها فلم يعودوا يفكرون فى شىء إلا اللهو، فشغلوهم بأنواع من اللهو ، كما شغلوهم بأنواع من الاسترقاق خيلوا إليهم أنها أصل خيرهم ، فحملوهم على عبادة النيل ، وعبادة الحكام ، وعبادة العجول ، وأولياء الله الصالحين واختلقوا لهم ألواناً من البطولة هى ألوان الأكل والشرب . . .

ولم يكن الفراعنة مجانين ولا كان الفرعون منهم يصدق أنه إله لأنه كان يعرف أنه ضعيف ، ولم يكن الخليفة الفاطمى سخيفاً ولم يكن يصدق أن السيد البدوى يأكل بقرة وكبشاً ومائة دجاجة وألف عصفور . . . وإنما كانت هذه هى السياسة التى قام عليها حكم الفراعنة وحكم الفاطميين ... ونحن اليوم نجتاز ظرفاً جديداً من ظروف الحياة ثبت فيه أن الزراعة لم تعد تصلح أن تكون أساساً لحياة راقية فى أمة ناهضة ، وثبت فيه أن العلم والحرية أساسان للرقى والنهوض ، لذلك يجب أن تتبدل هذه الأسس التى خلفها الفراعنة والتى تبنتها الفاطميون ، وليس يستطيع هذا إلا فنانون مبتدعون يخلقون للمصريين المثل العليا للبطولة الجديدة ، يستقونها من الإسلام الصحيح ، ومن تاريخ النبى وعمر وصلاح الدين وأولئك الأبطال المسلمين ... وليس يتأتى هذا إلا لفنانين عاشوا فى الريف وعاشوا فى المدن ، وخالطوا البيئة الزراعية والبيئة الصناعية ، وتمكنوا من الحياة المصرية الناعسة وتحرقوا شوقاً لحياة مصرية جديدة صاخبة حية . . . تنهض على أساس مصرى إسلامى لا على أساس مترجم أو مسروق ... لا بد أن تعطل موالد الأكالين والدجالين وأن تحيا موالد الأبطال الحقيقيين . . لا بد من رجعة إلى النور ... بلسان المصريين ... وأقدر الفنانين على هذا هم : بيرم التونسى وعبد السلام شهاب وبديع خيرى .. على أن يعاونهم مؤرخون

أما تنفيذ اللوائح فمن شأن رجال القانون .

عزيز أحمد فهمى

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسيس الدكتور ماجنوس ليد يشغله فرع القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ شارع المبتديان تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الأمراض التناسلية والأمراض والشواذ التناسلية والفقر عند الرجال والنساء وتجديد الشباب بالسيزوغنة البكرية . ويعالج بصفة خاصة : بزيادة الحساسية طبقاً لأحدث الطرق العلمية
والعيادة من ١٠-١ ومن ٤-٦ . يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة للمصريين بمصر والقاهرة بشرط تحويل على مصرف الاسكندرية اليكم لوجبة الجنيه على ١٤١ شارع الفجالة والتي يمكن الحصول عليها نظير ٥ قروش